

کتاب پاماکان

الفراش



CHIHAB Kids

كان يا ما كان ...

الْفَرَّاشُ



مقتبس عن حكايات هانس كريستيان أندرسن
رسم : منصور محمود

وَقَدْ كَانَ السَّحَابُونَ يَنْزِعُونَ أَوْرَاقَهَا، وَيَسْأَلُونَ عِنْدَ كُلِّ وَدْقَةٍ مَنزُوعَةٍ : « هَلْ
تُحِبُّنِي ؟ قَلِيلًا ؟ كَثِيرًا ؟ يَجُودُونَ ؟ لَا تُحِبُّنِي ؟ » لِهَذَا قَصَدَهَا الْفَرَّاشُ أَنْفُسًا
وَسَأَلَهَا قَائِلًا : « سَيِّدَنِي ، إِنَّكَ أَذْرَى الرَّهْمُورِ يَخْفَايَا الْحُبِّ .. قَهْلٌ تَسَاعِدِينِنِي
عَلَى الْخِتْيَارِ مِنْ تَلِيْقُ بِي زَوْجَةً ؟ »



أَرَادَ الْفَرَّاشُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَحْسَنَ زَهْرَةٍ مِنَ الرَّهْمُورِ، فَصَلَّبَ عَلَيْهِ الْخِتْيَارَ وَاحِدَةً
لِكثْرَةِ عَدَدِهَا وَجَمَالِهَا؛ فَطَارَ قاصِدًا زَهْرَاتِ الرَّبِيعِ.

غَضِبَتْ زَهْرَةُ الرَّبِيعِ وَلَمْ تُجِبْهُ ، لَقَدْ خَاطَبَهَا كَسِيْدَةٌ ، بَيْنَمَا مَا زَالَتْ
أَبْسَتْ ، جَدَّدَ الْقَرَارُشُ طَلَبَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَلَسْنَا لَأَحْظَ ضَعْفَهَا تَرْكُهَا وَ الْغُرُفَ .

نَحْنُ فِي أَوَائِلِ الرَّبِيعِ .. ثِبَاتُ الرُّعْفَرِ وَ زَهْرَاتُ السَّلْحِ تُغَطِّي كُلَّ الْمَكَانِ .
صَاحَ الْقَرَارُشُ : هَ عَجِيْبَةٌ هَذِهِ الرُّعْفَرَاتُ .. لَكُنْهَا مَا زَالَتْ قَبِيْةً ، لَقَدْ أَصْبَحَ
الْقَرَارُشُ مِثْلَ الْفَتَيَانِ لَا يَنْتَظِرُ إِلَّا إِلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِلًّا .



أُعجِبُ الْفَرَّاشُ زَهْرَةَ الْبَارِلَاءِ، فِيهِ بَيْضَاءُ وَحُمْرَةٌ.. نَعْرَةٌ وَنَعِيقَةٌ وَنَمِيمَةٌ
جِدًّا، لَيْتَ إِنِّهَا رَاضِيَةٌ بِبَيْتِ هَالِكَةَ لَا تَعَاثُ الْأَشْعَالُ الْمُرْلِيَّةُ.



طَارَ الْفَرَّاشُ لِحِمَى شَتَائِي الشَّمْسَانِ، فَوَجَدَهَا بَعِيدَةً عَنْ ذَوَقِهِ، وَرَأَى أَرْعَامَ
الْبَنْفَسِجِ أَكْثَرَ غَاطِظَةً. أَمَّا زَهْرَةُ الرِّيزَقُونِ فَحَجَمَهَا صَغِيرًا لَا تَتَقَعُّ وَلَا
تُشِيرُ.. شَدَّتْ انْبِيَاهُ زَهْرَةُ الشَّفَاحِ وَالْوَرْدَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمَا تَتَفَتَّحَانِ الْيَوْمَ
لِتَذِلَّأَا عِذَا وَتَسْقُطَا مَعَ أَوَّلِ هَبَّةِ رِيحٍ.. فَالْبُرُوجُ مَعَ مَخْلُوقِ
ضَعِيفٍ لَا يَدُومُ إِلَّا قَلِيلًا.

أما لَت زَهْرَةُ الْعَسَلِ أَفْئَانَهَا خَارِجَ الْحَاجِرِ الَّذِي كَانَتْ حَلِيقَةً مَعَ كَثِيرٍ مِنَ
الزُّهْرَاتِ الْمُنَشَابِيقَةِ، ذَاتِ الْأَشْكَالِ الطَّوِيلَةِ وَاللُّونِ الْأَصْفَرِ الشَّاحِبِ.
فَكَرَّ الْقَرَّاشُ : « يَكُلُّ تَحْكِيدٌ ... لَا يُشْكِنُ أَبَدًا أَلَا أُحِبُّ مِثْلَ هَذِهِ » وَهَكَذَا
هَرَّ الرِّبْعُ فَالْعَصِيفُ ..

ذَهَبَ إِلَيْهَا كَتَّى يَحْضِنَهَا لِلزَّوْاجِ، لَكِنَّهُ لَمَعَ لَمْعَةً قَوْلَ، عَلِقَتْ بِهَا وَرَدَّةٌ حَاقَّةٌ.
سَأَلَهَا : « مَنْ هَذِهِ ؟ » فَاجْلَبَتُهُ زَهْرَةُ الْبَارِلَاءِ : « إِنِّي أَخِي ! »
فَابْتَعَدَ عَنْهَا هَارِبًا، وَهُوَ يَقُولُ : « حَلِيقَةٌ » وَتَصْبِرِينَ يَوْمًا مِثْلَهَا ؟؟؟



مَا زِلْتَ الْقُلُوبَ غَيْرَ الشَّامَةِ مُتَأَثِّرَةً بِهَذَا الْأَرِيحِ الرُّكْبِيِّ، وَالَّذِي لَمْ يَبْقَ
مِثْلُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مُوجُودًا فِي الْوُرُودِ وَزَهْرِ الْأَقْحَوَانِ، الصَّبَا الْفَرَّاشُ فِي
أَحْمَرِ الْمَطَافِ إِلَى لَسَةِ السَّعْنَانِ.



لَدَمِ الْحَرِيثِ، وَالْفَرَّاشُ مَا زَالَ لَمْ يَتَخَيَّرْ زَوْجَةً لَهُ، فَلَا زَهَارٌ قَدْ بَسَطَتْ أُنْوَابَهَا
لِلْمَعِ عَيْشًا، لِأَنَّهَا فَقَدَتْ أَرِيحَ شَبَابِهَا الضَّامِعِ.

هذه البتة لا تزهر أبداً، لكن يمكن اعتبارها زهرة كاملة، ما دامَت عطرة من
رأسها إلى ساقها ! فكل ورقة من أوراقها تعادل زهرة بالرائحة التي تنبعثها
في الهواء. « هذا ما يأسفني ! » قال الفراش في نفسه. « سأزوجه ! » ثم
صرخ لها برغبته .

تجيت نبتة النعناع ضامته متعالية تسمع إليه. و في نهاية الأمر، قالت له :
« يمكنني أن أمتحك صدأني إذا قبلت بها، لا غير. فانا اليوم عجوز
وانت قارلت شبابا. يستطيع كل واحد منا على الأقل رعاية الآخر. لكن
الزواج. في مثل مبتدا تفعل الجميع يسخر منا !





فَمَا إِنَّ رَأَى حَاصِبُ الْعُرْفَةِ الْقَرَّاشِ، حَتَّى أَعْجَبَ بِهِ، فَأَمْسَكَهُ وَوَضَعَهُ فِي
عَلْبِهِ الْعَجَائِبِ. لَقَدْ وَجَدَ مَلَجًا مُصَادِفَةً، عُرْفَةً تَسْوِدُهَا حَرَارَةُ صَيْفِيَّةٍ.
فَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَعِيشَ مُطْمَئِنًّا، وَ لَكِنَّهُ صَارَ يَقُولُ : « لَا حَيَاةَ دُونَ حُرِّيَّةٍ
وَ أَسْجَةٍ شَمْسٍ وَ زَهْرَةٍ ». طَارَ نَحْوَ الثَّابِتَةِ فَأَصْطَلَمَ بِرُحَائِحِهَا.



وَهَكَذَا لَمْ يَتَزَوَّجِ الْقَرَّاشُ وَاحِدَةً ؛ بِسَبَبِ تَرُدِّهِ فِي اخْتِيَارِهِ. لَقَدْ كَانَ
أَسْلُوبُهُ سَيِّئًا ؛ فَصَارَ ذَكَرًا عَجُوزًا. لَأَمْسَ الْخَرِيفُ بِهَايَتَهُ، فَأَظْلَمَ السَّجُورُ،
وَهَطَلَ الْمَطَرُ، فَعَصَفَتِ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ فَأَنَحَتَتْ لِقَوْنِهَا أَشْجَارَ الصُّلْصَافِ
حَتَّى كَادَتْ تَتَكسَّرُ، فِي هَذَا السَّجُورِ الشَّيْءِ، يَسْتَحِيلُ السُّكُوتُ خَارِجًا، لَقَدْ
أَصْبَحَ الْقَرَّاشُ لَا يَعِيشُ فِي الْهَوَاءِ الْعَلِيِّ.



فقال القَرَّاشُ في لَفْسِهِ : « هَا قَدْ صِرْتُ عَلَى سَاقٍ مِثْلَ الْأَزْهَارِ .. إِنَّهَا وَضَعْتُهُ
لَا أَحْسَدُ عَلَيْهَا. لَكِنْ يُحْكُنْ لِي أَنْ أَقُولَ بِأَنْبِيِ الْيَوْمِ وَجَدْتُ مَكَانًا أَسْتَقِرُّ
فِيهِ، وَهَذَا يُشْبِهُ الزَّوْاجَ ». بِهَذَا التَّفَكُّيرِ صَارَ الْقَرَّاشُ يَتَأَسَّى لِیَحْقُقَ عَنْ
آلَامِهِ .

فَلَمَسَتْ بَعْضُ النَّبَاتَاتِ الَّتِي وَضَعَتْ فِي مَزْمَرِيَّاتٍ تَرْبِيًّا لِلْعُرْفَةِ سَاعِرَةً :
« إِنَّهَا حَقِيقَةً لَتَعْرِضُ لِمُخِزَّةٍ » .
« لَا شَيْءَ يُنْتَظَرُ مِنْ نَبَاتَاتٍ وَضِعَتْ بِوَضْعِيَّتِهَا دَاخِلَ أَوَانٍ، فَهِيَ مُرَلَاخَةٌ
لَا إِنْسَانِيَّةٌ فِيهَا ». هَكَذَا حَكَّمَ عَلَيْهَا الْقَرَّاشُ .

